بعض وقلّت الحروب مع ان المطامع زادت والمزاحمة لاحراز قصب السبق في ميدان التمدن اشتدّت والمشاكل تعدّدت . وربما كان هذا افضل نتائج الآداب . والهيئة الاجتماعية تعلم ان ارتقاءها الادبي هذا نتج اكثرهُ من اجتهاد بعض افرادها الذين امتازوا بقوة العقل والحس الادبي كما يمتاز غيرهم بقوة البنية ونحوها فلمثل هؤلاء الافاضل اكبر الفضل في تمدن الناس لانهم عمموا مبادئ الآداب وقربوها الى الذهن واظهروا باجتهادهم فساد كثير من الاعتقادات الذميمة وصلاح ما هو انسب منها . ولم تقتصر انعامهم على تعميم الخير بين البشر بل شملت الحيوانات الدنيا ايضاً ألا ترى ان كرام القوم تالفوا لجانًا للنظر في امر الحيوانات الداجنة وتخفيف آلامها كما تؤلف اللجان لمساعدة الضعفاء وتخفيف مصائب المساكين من ابناء آدم

اما بعض الافراد او الامم الذين يعيبون الانسانية بفاسد آدابهم فانهم في الكون الآ نبياء منثورًا ولا يدومون زمانًا طويلاً . لان البشر لا بدَّ ان ينقادوا الى ما دلَّ عليهِ الاختبار وارشدهم اليهِ العلم . والانسان متى زادت معارفهُ وترقى عقلهُ وجعل يبحث عن علل الحوادث ونتائجها فيجد ان علة الصواب ونتيجتهُ حسنات فيتمسك بهِ ويعرض عن غيرهِ

هذا وقد ابقى لنا الدهر علوم السلف ومعارفهم فضممنا اليها معارفنا فصرنا نعرف ما لم تتيسّر لهم معرفتهُ ولمكن لنا ان نقابل الماضي بالحال ونستدل بعض الاستدلال على الاستقبال ونحكم كيف تكون نتائج اعمالنا عند الذين يخلفوننا ولذلك نتحذّر ونتروّى في ما نفعل . ولما كان الخلف يرث حسنات السلف وسيئاتهِ فقد تعلمنا ان علينا واجبات وبيدنا مبادئ يجب ان نخلفها للذين ياتون بعدنا سليمةً من العيوب نقيَّةً من الشوائب حتى لا نكون سببًا في ضرر الذين نخلفهم على الارض . وهذا الشعور هو من اقوى ما يبعث الانسان على نيل الفضائل والتمسك بالآداب لاسيَّما وان نتائج اعمالنا لا ترد وكل عمل نعمله لا بدَّ ان تدوم عواقبهُ ونتائجهُ ولا قوة في الكون تبطل نتائج الافعال ولذلك كانت ذات اعتبار عظيم بالنظر الى علاقتها بمستقبل الزمان

نجاح العرب بتحسين لغتهم

لجناب رفعتلو اسعد افندي داغر

لقد صرنا والحمد لله في عصر تحصى فيهِ مدارسنا بالعشرات ويعدُّ المطلعون بالمئات ويعدّل الطلاب بالالوف . ولكن لا نزال والامر لله وكتّابنا البلغاء افراد . وشعراؤنا المفلقون كأن قد اضمرتهم البلاد . وخطباؤنا المصقعون غير متجاوزين الآحاد . وعلى ذلك فاسنّة الاقلام لا تبرح

غير مسنونة حتى على حين ترى في النفوس من الارتياح الى هزها بيضاً مشحوذة صقيلة وكنوز الكلام في اكنان الافكار مكنونة . وما كانت الخواطر باظهارها ضنينة او بخيلة . وهنا يا قوم عند الوقوف على قلة الخطباء والشعراء والكتّاب في جانب كثرة المدارس والمعلمين والطلّاب آية الانذهال وغاية العجب العجاب

هي الشكوى حتى تضيق دونها بطون الصحف بما رحبت وتميد تحتها اعدة الجرائد بما رسخت بل حتى تُدرج الارض تحت اقدام صوتها وتطوى . وتصدي به اربع جهاتها الفصوى . قائلة معنا غور ناطقة هي الشكوى . شكوى حاجة شعر بها الواقفون حياتهم للوطن (لا الواقفون الوطن لحياتهم) فكتموها في صدورهم وقد ابت عزّة النفس فيهم اباحتها وعرضها على من

" لقد اسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي"

وظلفوا يتحرّون لاجل سدها مخبّر السعي و يتوخون لكفايتها تحدّي طرق الاستقراء حتى وردوا في تقصي الاسباب كل حوض . واتجعوا لارتياد الوسائط كل روض . كل هذا وتلك الحاجة امنع من جبهة الاسد . مسدودة في وجوه طلّاب سدّها ابواب الهداية والرشد . وكفايتها مسألة يزداد حلها كل يوم اشكالاً على اشكال . وليس لتردد شكواها غير صدور اولئك الاحرار من مجال . حتى ضاقت الصدور عن الكتمان . واصبح الصبر على الحاجة عند اهلها متعذر الامكان

ولا بدّ من شكوى الى ذي مروّةٍ يواسيكَ او يسليك او يتوجّعُ

وكان في عدد الذين استلفتوا اليها الانظار . وحدّوا عليها اياتق الخواطر والافكار . جناب الكاتب البارع والرياضي المدقق نعمة افندي شديد يافث فانهُ ألمع الى ذلك في مقالة اثبتها في الجزء الثالث من السنة الحادية عشرة المقتطف الاغر تحت عنوان " اللغة العربية والوقت" اشار فيها الى الصعوبة الشديدة والمدة المديدة اللتين تعترضان الطالب لامتلاك اللغة الفصيحة والكتابة الصحيحة في لساننا العربي واقترح في ذيلها الخوض في هذا الموضوع لعلّ وجوه الهدى الى الحقيقة تتبين في طريق البحث . ثم عاد في الجزء الماضي واثبت مقالة بعنوان "نجاح العرب بتحسين لغتهم "خرج فيها من التلميح الى التصريح وافاض في البيان عما رآهُ من الصعوبات في وجه المريد اقتناء بلغاء العرب في اساليب التعبير ومناحيه . واهم الصعوبات عندهُ على ما ظهر لي من مقالتيه الاولى والثانية تعدّد الكتب في فنون اللغة واختلاف المذاهب بين اهلها وعدم الاحاطة . ثم استطرد الكلام الى الاستدلال على صحة هذه الاسباب وأعقبهُ ببيان ما ارتآهُ في تحسين اللغة بطريقتين احداها تسهيل المنهج واتحاد الاصطلاح والثانية وهي المعوّل عليها عندهُ ابدال

حروف الهجاء والحركات بحروف أخرى تضمن الحركة الى آخر ما بيّنه من حسن هذه الصورة المبتكرة للحروف لانها لسهولة مأخذها تمكن الطالب من امتلاك ناصية اللغة الفصحى والاحاطة بكل ما يحتاج اليه في التعبير من ضبط مفردات الكلام واحكام تراكيبها المتنوعة واساليبها المختلفة

واذ كنت ممن يشاركونه في الحرص على المصلحة والغيرة على خير الوطن من هذا القبيل وفي نفسي مثلة من هذه الشكوى اشياء من زمان طويل. اصحّ الشكر على ما ابداهُ من الافكار الحرّة الصادقة على نزاهةٍ في السعي ونبالةٍ في القصد. واخلص له الاعتراف بالفضل من قبل ومن بعد على اني استأذنه في الاستفهام عما أشكل عليّ من كلامه وانكار ما رأيته مردودًا من آرائه راجيًا منه ألّا يشقّ عليه اخذي عليه. لان الحقيقة بنت البحث وكلانا واحد في نشد الحق وطلب الاهتداء اليه

فما اشكل عليّ ما بدا لي من التضارب في مقالتيه الاولى في الجزء الثالث من السنة الماضية فانه في ختامها ذكر ان "النزول امام المتعلمين الى ميادين الكتابة العربية الخالصة ووضع الكتب الصحيحة في كل فنّ ومطلب هما ذريعتان من افعل الذرائع في تحصيل ملكة التعبير في وقت قصير". فالمحصل من هذا الكلام ان الكتب الصحيحة التعبير في الفنون والمطالب غير موضوعة بعدُ ويؤيدهُ قوله قبل ذلك في نفس المقالة ان طرق الكتابة في كتب اللغة لا تفي بغرض كتّاب هذا العصر. ولكنه لا يلبث ان يناقضهُ بما يذكرهُ بعيد قوله الاخير بكلامه عن اللغة العربية "لانها غنيّة المادة وطرق التعبير فيها كثيرة فلا يلتزم كتّابها ان يتابعوا او يقلدوا" وذلك آية في التضارب فان كان مرادهُ الاول وهو منكر لاول وهلة عند جميع الواقفين على مؤلفات الكتبة الراسخين من العرب فلماذا اعقبهُ بالاقرار بغنى اللغة في المادة وكثرة طرق التعبير فيها لان معرفة هذا الاقرار لا يتوصل اليها الّا من الكتب. وان كان مرادهُ الثاني اي ان اللغة غنية المادة وطرق التعبير فيها كثيرة فلا حاجة الى وضع كتب صحيحة التعبير ولا يكون وضع كتب كهذه مع النزول امام المتعلمين الى ميادين الكتابة من افعل الذرائع لامتلاك ناصية التعبير في وقت قصير. وان انكر صحة التعبير في الكتب الموجودة فعليه ان يبين ذلك بالفعل ويأتي بمثال للتعبير الصحيح الذي يريد وضعهُ واظنهُ ان استطاع الاول لا يستطيع الثاني ما لم يتابع او يقلد وكلاهما لا لزوم له في رأيه. ومما التبس عليّ المراد منهُ قوله في مقالتيه الثانية في الجزء الماضي "والاصلاح طرقهُ كثيرة يبدأ باجدرها اعتبارًا وهو سرعة اكتساب الملكة الخ" فالمتبادر منهُ الى الفهم ان سرعة اكتساب الملكة من جملة طرق الاصلاح واجلّهُ عن ان يجهل نسبة الاصلاح وطرقه الى سرعة اكتساب الملكة المراد تحصيلها. فلا بد ان يكون ذلك منهُ ذهولًا او نقصًا في التعبير ليس الّا

اما ما انكرهُ عليه فهو نسبة تاخر اكتساب هذه الملكة الى تعدُّد الكتب واختلاف المذاهب

وعدم الاحاطة . لان تعدُّد الكتب لا يؤخر اكتسابها بل يعجّله من وجه انهُ يكون ذريعة لزيادة الانتشار او رخص الاسعار. واختلاف المذاهب لا تأثير لهُ في الاكتساب لانهُ محصور في المطولات وفي الغالب مذكور معهُ مذهب الجمهور . وعدم الاحاطة نقص لا يتبرَّأ منهُ كتاب في كل اللغات وبالنتيجة فهو ليس في شيء من الصعوبات. وما انكرهُ عليهِ طريقتهُ الثانية التي ذكرها للاصلاح وهي ابدال حروف الهجاء والحركات بحروف تتضمن الحركات . فاذا رمينا بحروفنا وحركاتنا الى ما وراء البحر لزمنا ان نرمي معها بكتبنا العديدة ومؤلفاتنا المتنوعة واظن ان ذلك البحر أضيق من ان يسعها كلها . وأراني في غنًى عن الاشارة الى استحالة هذا الرأي وعدم امكان الذهاب وراء هذه الطريقة ولكنني ارجوهُ الافاضة في شرحها واشباع الكلام في التمثيل عليها وكيف ان معرفة صور الحرف الاربع فيها أسهل من معرفة صورهِ الست عشرة في المتعارف وماذا نفعل ياترى بغير الطلبة من اهل اللسان العربي . هل نحرمهم من فائدة ما يكتب حديثًا بالاسلوب الجديد لانهم يجهلونهُ ونضطرهم ان يتناولوا الاسلوب القديم ويتعلموا الجديد كالاحداث . وقد يتعذَّر عليهم ذلك لموانع من ضيق الوقت عند الاغنياء والفقر عند المحتاجين والمرض عند الفريقين. وكم تكون المدة التي يقتضيها شيوع هذا الاسلوب وعمومهُ

وتمهيدًا لذكر الاسباب الحقيقية الباعثة على التأخر في اكتساب ملكة اللسان المضري اقول ان المراد باكتساب هذه الملكة اقتدار الكاتب والمتكلم على سرعة التعبير بسهولة عن اي فكر بدا لهُ بكلام بليغ اي مستكمل جميع الاحكام المقرَّرة في علوم الصرف والنحو والبيان . ولا حاجة لي لاقامة البراهان على عدم جري هذه الملكة على السنتنا وانها غير آخذة باعنَّة اقلامنا . فانهُ واضح من مكالماتنا ومخاطباتنا ومن كتاباتنا ايضًا رغمًا عن التوسُّل والتروّي في انشائها. ومعلوم عظم احتياجنا اليها من البحث في شان تحصيلها وانا الاحتياج مدعاة البحث. وواضح ايضًا ان البحث ينبغي بعد ما يتعين موضوعهُ ان نعرف كيفيتهُ لكي ندرك غايتهُ ونحقّق فائدتهُ . فيسأل اذًا في موضوع بحثنا هذا كيف تكتسب هذه الملكة . والجواب عندي ان امتلاكها تمامًا يصعب جدًّا ان لم اقل يتعذَّر على البالغ الذي رضع اللغة العامية مع لبان الطفولية ودُرِّجت معهُ في القماط ودبَّت في البيت وخرجت بهِ الى الازقة والشوارع وصحبتهُ الى المدرسة حيث كانت احكام اللغة الفصيحة تشرح لهُ من المعلم بالفاظها السقيمة وعباراتها الركيكة . فمَنْ كان كذلك فلا وسيلة لاكتسابهِ ملكة اللغة الفصيحة وقد ملكت لسانهُ لغة العامة منذ الصغر. ورسخت ركاكتها في ذهنهِ رسوخ النقش في الحجر. وليت شعري ماذا يفيدهُ بعد ابدال الحروف والحركات او وضع كتب صحيحة التعبير بل ماذا عسى ان تسهل هذه الوسائط امامهُ من مسافات اللغة الفصيحة المترامية ومسالكها المتعادية بينها اللغة

العامية تساورها وتزاحمها وتدافعها وتلاطمها. اما الولد الصغير فيسهل عليهِ امتلاكها اذا انطلق لسانهُ منذ البداءة بالفاظها الصحيحة وخرّج من والديهِ في تراكيبها الفصيحة. ورُزق في المدرسة معلّماً فيهِ الاهلية للتدريس من حيث الامانة والاقتدار والارادة ومعرفة الاساليب الكافلة للنجاح والباعثة على التقدّم واذا انضمّ ذلك فوائد اكتساب ملكة التعبير هي

اولاً حالة البيوت الحاضرة ✻ لا يسهل على الطالب اكتساب هذه الملكة ما لم يكن قد نشأ في بيتٍ كان لهُ مدرسةً استعداديّةً اخذ فيها عن الوالدين مبادئ الالفاظ الصحيحة وتخرج بواسطتها في التهذيب والادب وأُشرب قلبهُ على يدهما حبّ الدأب والاكتساب. فلمثل هذا اضمن سرعة امتلاك ناصية تلك الملكة اذا خرج الى مدرسةٍ استكملت ومعلميها الشروط التي سياتي بيانها. ولكن لا ارى بين كل اهل اللسان العربي بيتاً فيهِ مدرسةٌ استعداديّةٌ للاولاد ترشحهم لنابليّة اكتساب هذه الملكة. وذلك إما لعدم استطاعة الوالدين لانهما يكونان امّيين او لعدم اكتراثهما في هذا الشأن الخطير ظنّاً منهما ان المدرسة وحدها كافية لسدّ هذا الاحتياج وان المعلمين فقط مطالبون بكل نقص يبقى في التلميذ بعد خروجهِ من المدرسة. فبعض الوالدين يرسلون ولدهم الى المدرسة قبلما يستطيع المشي والتكلم جيداً تملصاً من ثقل تربيتهِ والبعض الآخر يتراخون لهُ في العنان فلا يسوقونهُ اليها الاّ وهو فوق الثالثة عشر ولا يعرف بعد كيفية التلفظ بحروف الهجاء. فالاول يخرج كل يوم كما يدخل لان افادتهُ في هذا السن تقتضي تفرّغ معلم خصوصي وهو الأب او الأم وليس معلم عشرين او ثلثين ولداً معاً. فضلاً عمّا يلمّ بهِ من آفات الحصر التي تعارض نموّ جسدهِ المتوقف عليهِ نموّ قواهُ العقلية. والثاني يدخلها وقواهُ العقلية خاملة وشعلة ذكائهِ الطبيعي خامدة بما هبّ عليها من عواصف الكسل والبطالة التي حملت الى عقلهِ البلادة ونقلت الى ذوقهِ الفساد المتولد منها منعت العلم وكراهة التهذيب. فكيف يرجى لمثل هذا اكتساب ملكة اللسان المضري ولسانهُ لا ينطلق الاّ باللفظ المحرّف المشوّه والتركيب الركيك السقيم فضلاً عمّا يكون قد طرأ على اخلاقهِ من فساد التربية الذي انالهُ الطياشة والرعونة ودار في لسانهِ من الفاظ السبّ والشتم والتجديف. فهل يُنتظر لمثل هذا الاصلاح في المدرسة وقد يتعذّر اصلاحهُ بغير خلقهِ جديداً

وراحت الى العطّار تصلح عيبها ولا يُصلح العطّارُ ما افسد الدهرُ

ولو انتهت بليّة المعلمين في مثل هذا الولد الى هذا الحدّ لهانت على شدّتها وخفّت على ثقل وطأتها ولكن البليّة عليهم كل البلية تكون في اهلهِ الذين ان طلب المعلم اصلاح ولدهم على طريقة الارشاد بالتساهل فقط رموهُ بالتغاضي والجبانة واتّهموهُ بعدم الاعتناء وقلة الامانة. وان حاول

اصلاحهُ على طريق القساوة والصرامة . صوَّبوا نحوهُ سهام الطعن والملامة . وقاموا عليهِ بحملةٍ تذكرهُ يوم القيامة . وقالوا امّ هذا الظالم وابوهُ . ونادوا اصليوهُ اصليوهُ . ركاعذّب ولدنا عذّبوهُ . ألا انهم هم المتقاضون المتغافلون . ولولدهم بالحقيقة هم الظالمون

ثانيًا حالة المدارس الحاضرة * تقدَّم معنا ان اول وسيلة فعالة في اكتساب ملكة التعبير في البيت الصالح لان يكون للولد مدرسة استعداديَّة . ولكن حالة المدارس الحاضرة تقف في طريق الوصول الى تلك الغاية وتعترض الخارج اليها من بيتهِ معاقبًا متزودًا . لان الكثير من مدارسنا ولا سيَّما العالية مرؤوس بالاجانب الذين ليسوا في شيء من الاهتمام باتساع نطاق هذه المملكة بل السواد الاعظم منهم يُخاتون الذرع في كسوف شمسها واطفاء نورها وابدالها بالافرنسيَّة او الانكليزية التي يجعلونها ام الباب في التعليم ثم يلحنون بها العربية ويتبعونها بغيرها من اللغات التي تساعد امّ الباب على ضغط العربية وعدم النجاح بدراستها . وبناء عليهِ يعيّنون لها وقتًا قصيرًا جدًّا ربما مرةً او مرتين في الاسبوع او يضمون لفنون صرفها ونحوها وبيانها معلّمًا لا يعرف من هذه الفنون سوى اسمائها . ولا يتقن من العربية غير لفظ حروف هجائها

ثالثًا حالة المعلمين الحاضرة * هنا استغفر الله من زلّة القدم وهفوة القلم فانهُ لا بدَّ ان يطيح فيجرح حتى نفس الكاتب بهِ . أجَلْ ان الموقف خطير جَلَلْ . والمقام حرج لا تؤمن مع صعوبتهِ تبعة العثار وطائلة الزلل . ولكنَّ الضرورة ماسَّة والصدع بامر الحق لا يكبر الّا على الكابر وعليهِ فلا مندوحة لي عن الكلام . بقدر ما يسمح القصد ويتسع المقام

ان حالة المعلمين الحاضرة لا تأذن بتعليق الرجاء على سرعة اكتساب الطلّاب لهذه الملكة من وجوهٍ عديدة ولاسباب متنوعة منها ان كل المعلمين في المدارس البسيطة واكثرهم في المدارس العالية ليست فيهم هذه الملكة . وبديهيٌّ ان المعلم لا يستطيع ان يفيد التلميذ شيئًا يجهلهُ هو فكم بالاحرى جدًّا لا يقدر ان يُوجِد فيهِ ملكة معدومة . ومنها ان بعضهم ليست لهم ملكة التعليم نفسها . ومنها ان بعضهم لا يعرفون العلوم التي يعلّمونها معرفة كافية . وفي هذا القدر من التلميح كفاية لواجد منكرًا يستزيد في ايضاحًا فاكشف لهُ الحجاب . وارفع النقاب . واريهِ في سماء الحقيقة شهبًا ثواقب تمزق غياهب الارتياب . وليس كل اللوم عليهم في ذلك بل ينصرف نحو رؤساء المدارس ونظّارها الذين يدعون الى وظيفة التعليم من ليست فيهم الاهلية كما دُعوا هم الى الرئاسة . والّا فاكان يجب عليهم ان يسبروا غور المعلمين قبل ما يدعونهم الى تعليم طلبةٍ في فنون هم اعرف منهم على جهلهم فيها وهكذا يخرجون الطلبة من مدارسهم معدودةً علينا بالالوف والحق انهم مع معلميهم لا يكادون يعدون في المعرفة بالآحاد . وان اعتذروا عن هذا القصور بعدم امكانهم الوقوف

على معارف المعلمين الحقيقية لجهلهم العربية يرجع اللوم على ظاهر هذا الاعتبار الى ذلك المعلم الذي يكون فيه من عيوب الوظيفة فضلاً عن عدم المعرفة عيب الغش وعدم الامانة (وهما من جملة حالات المعلمين الحاضرة). ولكن على حقيقته يبقى اللوم على ذلك الرئيس الذي يكون فيه نفس ما في ذلك المعلم من عدم الاستقامة وحب الذات والطمع في الرئاسة. فلكي يتقي سهام الملام ويأمن تبعة المسؤولية يترتب عليه إما ان يكون واسع الدراية محيط المعرفة بجميع الفنون التي تدرّس في مدرسته حتى يستطيع القيام بكل ما تطلبه وظيفته الخطيرة او ان يتخلّى عن منصبه للخليق به والجدير ولا يطبّق عليه ما قيل في ذلك الوزير

من آلة الدست ما عند الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
فهو الوزيرُ ولا ازرٌ يُشَدُّ به مثل العروض له بحرٌ بلا ماء

رابعًا حالة الكتب الحاضرة * ما كانت حالة الكتب الحاضرة اتنف مانعًا في طريق اكتساب هذه الملكة لو انحصرت عيوبها في تعددها بكل فن واختلاف مذاهب واضعيها وعدم احاطتها فقط كما اشار جناب نعمة افندي شديد ولكن لنا فيها عيوب أُخرى اجدر بالاعتبار واقعل في التأخير. وهذه الكتب التي نحن بصددها يراد بها كلا النوعين الموضوع احدهما لتعليم القراءة والآخر للتخرج في فنون اللغة. فيعاب النوع الاول بعدم الاتساق الحكم والتبويب المرافق قوى التلميذ في علو الطبقة وارتفاع الافكار كما نرى كتب الاعاجم ولا سيما في الانكليزية. ويعاب النوع الثاني بغموض العبارة وخفاء المراد من عويص اللفظ وغريب التعبير حتى في نفس المختصرات. ويعاب النوعان معًا بعدم الضبط التام بالحركات ولا منازع في هذا النقص الاخير. فمن الاطلاع على هذه الموانع الواقفة في طريق اكتساب ملكة اللسان المصري يسهل التوصل الى الاسباب الكافلة ازالتها. اذ من عرف الداء سهل عليه الدواء. والاّ فمن دون امتلاك ناصية الفصيح في التعبير. عقبات وحزون واحادير. لا تزول الى دهر الدهاريز

الآثار المصرية المكتشفة حديثًا

مصر دار الغرائب وغرائبها آثارها وحنبظة الخرائب وبخرائبها افتخارها. وكل عام نجد من آثارها آيات بيّنات ومن خرائبها سورًا ناطقات. ففي العام الماضي اكتشفت لجنة النقب الانكليزية حصن بسامتكوس الاول الذي التجأ اليه اليهود حينما اخرب نبوخذ نصّر اورشليم. ومدينة تحفنحيس المذكورة في التوراة. وهذا العام اكتشفت خرائب تل اليهودية المذكور في